Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ـ من مطالع الحطيئة :

ومن هذه المطالع مطلع قصيدة الحطيئة اللامية التى يعتذر فيها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هجاء الزبرقان ، ومن أبيات هذا المطلع :

نَـأَتْكَ أُمَـامَـةُ إلاَّ سُؤَالاً وأبْصرْتَ منها .. بِغَيْبٍ خيالاً[٢٤]
خـيـالاً يَـرُوعُكَ عـنـدَ المنـام ويَأْبَى مع الصُّبحِ إلاَّزَوَالا[٢٥]
كِـنَـانِـيَّـةٌ دارهـا غَـرْبَـةً تُجِدُّ وِصَالا وتُبْلِى وِصالا[٢٦]

والقصة التى ترتبط بها هذه القصيدة مشهورة ، وموجزها أن الزبرقان بن بدر كان من سادة بنى تميم الأجواد ، وكان ينافسه بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة ، ثم إن الزبرقان استضاف الحطيئة وأنزله فى جواره ، فاحتال بغيض بن عامر حتى جعل الحطيئة ينتقل إلى ضيافته ويقيم فى جواره ، ثم كان من المنتظر أن يرد الحطيئة جميل بغيض وقومه بأن يهون فى شعره من قدر منافسهم أو خصمهم الزبرقان ، وقد فعل ، فشكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فتوعده عمر بقطع لسانه ، ثم حبسه ، ثم افتدى منه أعراض المسلمين بقدر من المال حتى لا يهجو أحداً ثم أطلق سراحه ، فى القصة المشهورة .

وحين نتابع منهج هذا الكتاب فى تلمس نفسية الشاعر من خلال المطلع نجد نفسية الحطيئة حينئذ تبلغ من الوضوح أن المطلع يكاد يعلن عنها إعلاناً رغم أنها مغلفة فى المطلع بالغلاف الرمزى ، وذلك أن لفظاً واحداً معيناً هو الذى أفلت من الحطيئة ، أو قصده الحطيئة قصداً فنمَّ عن كل ما فى نفسه ومشاعره إزاء الموقف ، وهو لفظ (يروعك) فالحطيئة جعل مطلعه غزلا فى أمامة التى ملأت نفسه حيرة وعجبا ، فهى نائية بعيدة الدار عنه ، ومع ذلك فهى ماثلة أمامه تسائله ، وماثلة فى نفسه يملأ خيالها قلبه فزعاً ورعباً فى الليل ، حتى كأنها موجودة عنده حقيقة ، ولكنه يفاجأ حين يصبح الصباح بزوال هذا الخيال ، ثم هو لا يعرف لوصلها وجفائها قواعد أو منهجاً مألوفاً .

والذى يستوقفنا فى هذه الصورة أن العاشق أو الذى يتخيل أنه عاشق لابد وأن يكون خيال معشوقته عنده شيئاً محبوباً مرغوباً فيه ، ولابد أن يكون تمثل هذا الخيال